الفصل الثالث

الاسراتيجيات الأساسية
لبناء النظرية السوسيولوجية

المحتويات

مقـــــدمة
أولاً : استراتيجية بناء الانساق النظرية المغلقة
ثانياً : استراتيجية بناء النظريات العامة أو الشاملة
ثالثا : استراتيجية بناء النظريات الخاصة أو المتوسطة المدى
رابعا : نظريات المرحلة الكلاسيكية ، الاطار التحليلى

مقـــدمة

شكل بناء النظرية السوسيولوجية والمنهج الذى ينبغى اتباعه فى هذا الصدد موقفا خلافياً فى إطار النظرية العامة للعلم . ودون الحاجة الى التتبع التاريخى لهذا الخلاف الذى بدأ باغتراب الانساق النظرية التأملية ووظيفتها الأساسية فيما يتعلق بالواقع الذى عايشته – وهو الاغتراب لذى ظهرت النزعة الامبيريقية كرد فعل يعنى رفض كل ماتعنيه هذه الأنساق النظرية التأملية – ثم تكرر الخلاف فيما يتعلق باستراتيجيات بناء النظريات العاملية التى زخرت بها المرحلة الكلاسيكية من تاريخ النظرية السوسيولوجية . فى هذا الاطار سوف نكتفى بتحديد طبيعة الاستراتيجيات المعاصرة لبناء النظرية السوسيولوجية . ومن الضرورى أن نوضح فى هذا الصدد أن تباين استراتيجيات بناء النظرية السوسيولوجية يرجع الى ثلاثة عوامل اساسية . أولها يتمثل فى المرحلة التاريخية التى يمر بها العلم ، ثم حالة التراكم المعرفى الذى تحقق ، وثانيهما ,كتمال التفاعل ووضوحه بين مختلف الأبنية النظرية بمستوياتها المتباينة ، وبين معطيات الواقع ومتغيراته وفقا لمحكات تؤكد موضوعية هذا التفاعل . وثالثهما ، طبيعة النظرة المثلى لنقطة البداية التى ينبغى أن ننطلق منها لتأسيس النظرية ثم منطق ادراك متغيرات الواقع وتفاعلاته .

واذا كان تاريخ النظرية السوسيولوجية قد شهد تبلور ثلاثة استراتيجيات لبناء النظرية ، هى (استراتيجية بناء الأنساق النظرية المغلقة) و (استراتيجية بناء النظريات العامة أو الشاملة) و (استراتيجية بناء النظريات الخاصة أو المتوسطة المدى) ، فإن ذلك لايعنى الانفصال التام بين هذه الاتسراتيجيات الأساسية ، فهناك الكثير من نقاط الالتقاء المشتركة ، ثم هناك التقاء حول عدد من الخطوات أو الممارسات التكنيكية ومن ثم فتمييزها على هذا النحو الفاصل يحمل قدرا كبيرا من الارادية والتعسف .

أولا : استراتيجية بناء الانساق النظرية المغلقة

سادت هذه الاستراتيجية المرحلة الأولى لنشأة النظرية السوسيولوجية ، التى تضمنت أشكالا نظرية متعددة ، يرجع بعضها الى اشتقاقه من فرضيات الأنساق الفلسفية السابقة على نشأة علم الاجتماع ، ويرجع بعضها الآخر الى محاولة نقل قضايا وممارسات علوم أخرى ومتقدمة الى نطاق علم الاجتماع . ومن ثم فلقد تميزت هذه الأنساق النظرية بمحاولتها تفسير النسق الاجتماعى بالنظر الى فرضيات من خارجه ، واستخدمت معطيات النسق الاجتماعى الواقعى انتقائيا فى اثباتها . وهناك شكلان أساسيان لهذه الأنساق النظرية :

١ – الشكل الأول ويعرف بالأنساق النظرية التأملية ، وهى عبارة عن أبنية افتراضية اشتقت أساسا من الاتجاهات الفلسفية التى عايشت نشأة علم الاجتماع ، وتمثل المثالية والوضعية والنفعية نماذج فكرية لهذه الأنساق . ونظرا للتدريب الفلسفى ولمحاولة فهم الواقع المعاش وتقديم تفسير عقلانى لتفاعله حاول مفكروا هذه الاتجاهات ادراك الواقع بالنظر الى مجموعة من المقولات الفلسفية التى تضفى على الواقع ذاته . ولقد ظلت هذه الأنساق تستمد صدقها من معقوليتها المنطقية وليس من خلال الاختبار الامبيريقى لفرضياتها الفلسفية ، فاذا أضطر المفكر نفسه الى الاستعانة بمعطيات الواقع فان ذلك غالبا ماكان يتم بشكل انتقائى . ونظرا لتباين « أصولها المعرفية » ، فان جهدها العلمى لم يتجه الى محاولة البحث عن الموضوعية من خلال تأسيس حوار بين متغيراتها المتباينة ومحاولة اختبار فاعليتها بالنظر الى معطيات الواقع . وانما اتجه الى ترسيخ تباياتها عن طريق فرض تصورات نظرية مطلقة عن الواقع ، وبذلك ظلت مجموعة من الافتراضات الفلسفية الاعتقادية التى تقترب الى حد كبير من شكل التوجيهات النظرية العامة . غير أن الخاصية الرئيسية لهذه المرحلة تتحدد فى أنها كانت تمثل اختلافا عن الفلسفة من حيث كونها تعطى المعطيات الواقعية اعتبارا ولو بشكل انتقائى ، ثم أنها كانت أقل تأملية وانفصالا عن الواقع . هذا بالاضافة الى كونها خير شاهد على تحول وانتقال تاريخى للفلسفة من مجموعة من الفرضيات الميتافيزيقية الى بناءات نظرية ذات قضايا محددة الى حد ما . وذات طبيعة اجتماعية فى برهنتها .

٢ – وتمثل النظريات العاملية الشكل الثانى لاستراتيجية الانساق النظرية المطلقة ، حيث سادت هذه النظريات فى الفترة التالية لنشأة علم الاجتماع ، ولقد شكل هذا النموذج التنظيرى تيارا كاملا يحاول أن يعطى أهمية لأى من العوامل المتعددة فى تحتيم الظواهر الاجتماعية ، واتجهت دائما فى برهنتها الى التأكيد على الأهمية الشاملة لعامل ما جغرافيا ، أم بيولوجيا ، أم اقتصاديا ، أم سيكلوجيا أم اجتماعيا . ولقد أسهم التنظير العاملى فى تخلف تأسيس النظرية العامة للأنساق الاجتماعية ، وذلك عن طريق تركيزها الأساسى على مجموعة من العوامل التى لاتنتسب بشكل محدد للنسق الاجتماعى ، وخاصة العامل البيئى أو البيولوجى أو الاقتصادى على مايذهب تالكوت بارسونز (٧٣) . ورغم امكان استفادة أى علم من الرضيات أو القضايا التى تحددت فى نطاق علم آخر . فان هذه العوامل كلها درست وبحثت فى اطار علوم أخرى ، ونقلت رؤيتها الى نطاق علم الاجتماع . مثال ذلك التأكيد على العامل الجغرافى ، ونقله من علم الجغرافيا الى علم الاجتماع وهكذا بالنسبة للعامل الاقتصادى ، أو البيولوجى الوراثى ،

أو السلالى . ولقد دفع ذلك الى التأكيد على العامل الاجتماعى فقط – كما يذهب دوركيم – وسيطرته على التفاعل الاجتماعى فى مواجهة العوامل الأخرى ، يتضح ذلك من مقولة دوركيم الشهيرة بأن المجتمع حقيقة مفسرة لذاتها (٧٤) . وان تميزت النظريات العاملية باغراقها فى الاطلاقات الافتراضية على غرار التفكير الفلسفى ، وعزوفها عن تعريض قضاياها للتحقيق الامبيريقى ، وهو الشرط الأساسى للاجازة العلمية لأية قضية نظرية ، واتجاها الى البحث عن المعطيات – انتقائيا – لتأكيد العامل الذى تعتبره مستقلا دائما وقادرا على قيادة التفاعل الاجتماعى ، فانها قد أدت دورا هاما فى جمع قدر من المعطيات المتعلقة بالعامل الذى ترى أولوية تأثيره وفاعليته . مما ساعد كثيرا فى مرحلة تالية من مراحل النظرية السوسيولوجية الى أعادة هذا التوازن المهتز بشكل علمى عن طريق اعطاء مجموعة العوامل المتباينة والمشكلة للواقع الاجتماعى أوزانها الملائمة فى صياغة تفاعله . ونظرا للتشابه الكبير بين البناءات النظرية لهذه المرحلة – الأنساق التأملية والنظريات العاملية – فان لنا عليها المآخذ التالية :

أ – ظلت هذه الأنساق النظرية أبعد ماتكون عن أن تشكل معرفة تراكمية ، حيث كان من النادر أن تستند تصورات أى اطار نظرى منفرد على أفكار السابقين عليه . ومن ثم فلقد تأسست نمطيا كتصورات بديلة ومتنافسة وليس كتصورات تتحد وتستمر فى نتاج تراكمى . ورغم أن أعمال رواد هذه المرحلة تشهد على عبقرية بشر موهوبين ، إلا أنها لم ترس الأسس الملائمة للتحليل السوسيولوجى السائد فى علم الاجتماع اليوم ، ومن ثم فرغم كونها انجازات عملاقة فى عصرها ، غير أن عصرها ليس عصرنا (٧٥) .

ب – ان هذه النظريات وخاصة النظريات العاملية أكدت على عوامل مفسرة للتفاعل الاجتماعى من خارج النسق الاجتماعى – اذا أدركناه تحليليا – ومن ثم فقد مالت كلها الى تفسير الظاهرة الاجتماعية بعوامل خارجة عنها ، وليست من داخلها أو متفاعلة تفاعلا جوهريا معها (٧٦) .

ج – انه كان من المضار القاتلة للتنظير العاملى ان انقسم ميدان علم الاجتماع الى مجموعة من النظريات المتحاربة ، حيث امتلكت كل مدرسة تبريرا امبيريقيا قويا لموقفها ، ولكنها فى محاولتها تشكيل أنساق نظرية مغلقة تضمنت صعابا وصراعات مع التفسيرات الأخرى فيما يتعلق بذات الظواهر ، ولقد أسست هذه النظريات مأزقاً لذاتها حينما دفع الكبرياء المهنى والمصالح المستفادة الى الدفاع عن نظرية معينة فى مواجهة أخرى (٧٧)

د – انه كان من نتائج سيادة الأنساق التأملية أو النظريات العاملية أن ظهرت النزعة الامبيريقية المتطرفة ، والتى تنكر بداءة ان باستطاعة النظرية ان تفعل كل شئ للعلم ، بل ذهب مناصرو هذه النزعة الى القول بأن النظرية لا تعدو ان تكون تأسيسا افتراضيا تأمليا يقود بعيدا عن احترام الحقائق ، ومن ثم فقد اعتقدوا ان تقدم العلم يمكن أن يتحقق فقط عن طريق المكتشفات غير الموجهة والمتناثرة للحقيقة (٧٨) .

غير أنه فى مرحلة تالية من مراحل النظرية السوسيولوجية تطورت النظريات من كونها افتراضات تعبر عن وجهة نظر روادها الى تأسيسات نظرية ينتمى اليها علماؤها . ولقد حدثت هذه الانتقالة عبر تاريخ طويل ألغيت فى اطاره الارتباطات العضوية بين ذاتية الباحث أو المنظر من ناحية وبين البناء النظرى من ناحية أخرى ، وتأسست فى محلها رابطة موضوعية بين المنظر والبناء النظرى يستطيع من خلاله الباحث أن يساهم فى بناء النظرية – ان سلبا أو ايجابا – عن طريق تعريض فرضياتها للبحث الامبيريقى ، بحيث انتفت أى رابطة اعتقادية بين المنظر والبناء النظرى . بيد أنه وان شهدت هذه المرحلة ايمانا بقدرة النظرية ودورها فى البناء المعرفى للعلم ، فانه ظهر خلاف جديد حول طبيعة البناء النظرى الملائم للعلم الاجتماعى فى هذه المرحلة . هل النظريات العامة والشاملة التى تجرد عن تراكم المعرفة الذى توفر فى مختلف فروع العلم الاجتماعى هى التى يجب ان نتجه لبنائها ، ثم تتولى تطويرها من خلال علاقتها بالمعطيات الامبيريقية ؟ .

فى مواجهة ذلك ظهر موقف آخر يذهب الى أن التركيز على تأسيس أطر نظرية شاملة ، واشتقاق النظريات الجانبية منها فيه مخاطرة ان تؤسس فى القرن العشرين المعادلات السوسيولوجية للأنساق الفلسفية التى سادت فى الماضى بكل ايحاءاتها المتنوعة ، وبناءاتها الفخمة ، وضحالتها العلمية (٧٩) . ويطرح هذا الموقف تأسيس النظريات الخاصة بنطاقات معينة من الواقع الاجتماعى . وان كان مردودا عليه بأن تأسيس النظريات الخصة يحمل مخاطرة تأسيس تأملات لأغراض معينة تتسق فقط مع نطاقات محدودة من الملاحظات وغير منسقة فيما بين بعضها والبعض الآخر . ولقد تمخض هذا الموقف عن استراتيجيتين أساسيتين لبناء النظرية السوسيولوجية .

الأولى استراتيجية بناء النظرية الشاملة ، والثانية استراتيجية بناء النظرية المتوسطة المدى .

ثانيا : استراتيجية بناء النظرية الشاملة

يعتبر تالكوت بارسونز خير من تبنى هذه الاستراتيجية فى بناء النظرية السوسيولوجية ، حيث ينادى فى هذا الصدد بضرورة الاتجاه مباشرة الى تأسيس النظرية الشاملة ، بحيث يستند هذا التأسيس الشامل الى ثلاثة اعتبارات أساسية :

١ - أنه بالنظر الى أن وحدة التحليل الأساسية لديه هى بناء الفعل الاجتماعى كنسق اجتماعى ، فانه كان منطقيا ان تكون النظرية عنده شاملة متخذه من مفهوم النسق البنائى الوظيفى اطارا منطقيا لتنظيم المعطيات التى يحويها الواقع الاجتماعى وأداة مفسرة لظواهره (٨٠) .

٢ - انه اعتبر ان الاطار الأساسى لنظرية الفعل الاجتماعى تستند الى ثلاثة مرتكزات أساسية . نسق الثقافة والتى قدمت الانثروبولوجيا اسهامات واضحة فى اطاره ، ونسق الشخصية الذى قدم علم النفس بقيادة فرويد فهما لعملياتها الأساسية وبنائها الدافعى . والنسق الاجتماعى الذى طور دوركيم وماكس فيبر تصورا لعناصره الرئيسية وعلاقاته وبنائه المعيارى (٨١) .

٣ - ان هذه النظرية بتأسيسه لها تعتبر من وجهة نظر بارسونز دليلا على نضج العلم . لأنها ليست سوى اطار تصورى يحدد المسلك المنهجى للباحث فى تناوله لمعطياته . وفى بنائه لنظريته قام بارسونز بتجريد تعميماته عن قضايا توصلت اليها العلوم الثلاثة من خلال دراستها لمتغيرات الواقع موضع الاهتمام ، ولذلك فالنظرية لديه ذات طابع تجريدى شامل ، ولعل هذه الطبيعية هى التى جعلت عالما مثل جان وايتكر يذهب الى القول بانعدام أية اشارات أو اسنادات امبيريقية فى عمله (٨٢) . وانه قد اتخذ من أعمال دوركيم وماكس فيبر ومارشال وباريتو معطيات وبرهانا ودعما أمبيريقيا لنظريته (٨٣) .

ولتحديد أسلوب بارسونز فى تأسيس النظرية الشاملة نجده يؤكد على المنطق التدريجى فى تأسيسها ، فهى لاتتأسس لديه دفعة واحدة ، يتضح ذلك من قوله انه وان كانت توجد بعض المتضمنات النظرية فيما يتعلق ببعض المواضع النسقية ، فاننا فى المراحل الأولى نجد هذه المتضمنات النظرية هذه قد تكون مبعثرة بعضها عن البعض . وتبدو القضايا الامبيريقية ذات صلة مباشرة بدرجة عامة وغير واضحة . غير انه بسبب تطوير التحليل السوسيولوجى العام ،

وبسبب التراكم المباشر للادلة الامبيريقية المتصله به ، فان هذه المتضمنات النظرية سوف تقترب بعضها من البعض ، وتصبح ملامحها أكثر وضوحا وتحديدا . بحيث تيسر الاستعانة بها فى اقترابنا من الحقيقة .

ويذكر تالكوت بارسونز ان تأسيس النظرية مسألة درجة بهذا المعنى . حيث انه عن طريق ارتباط مجموعات النظريات المتوسطة المدى . وهى الطراز الذى يفضله ميرتون . فان تشابكها واتصال متضمناتها المتبادلة سوف يؤدى الى اندماجها فى كيان للمعرفة اكثر اتساقا وعمومية . وعندما تتكامل هذه النظريات فى النهاية ، تتخلق الحالة المثالية حيث تشتق معظم الفروض الاجرائية والحقيقية للبحث الامبيريقى من النسق النظرى العام . وفى اعتقاد تالكوت بارسونز ان هذه الحالة لم تتحقق الا بالنسبة لعلم الطبيعة . ومع اننا لم نصبح بعد قريبين من مثل هذه الحالة ، إلا أن هذا لايعنى ان أية خطوات فى هذا الاتجاه لا قيمة لها . بل على العكس ، فان أية خطوة حقيقية فى هذا الاتجاه تعتبر تقدما . فعند نقطة النهاية سوف تتحول هذه النظرية المتوسطة المدى الى نسق نظرى شامل (٨٤) . ورغم اهتمام بارسونز بالنظريات الشاملة فاننا نجده فى أكثر من موضع يصرح ان ذلك لايعنى استخفافا بأهمية النظريات الخاصة ، أو بمعنى آخر النماذج الأكثر تواضعا للعمل النظرى . وعلى العكس من ذلك ، يؤكد انه عند هذا المستوى سوف تتأسس المواضع المتنامية للنظرية الشاملة من خلال التفاعل المباشر والفعال بين هذه النظريات الخاصة من ناحية وبين البحث الامبيريقى من ناحية أخرى (٨٥) .

ومن الواضح ان بارسونز فى تأسيسه للنظرية يتخذ من النظريات الخاصة طريقا لذلك . وهو ماقد فعله من خلال تنقيحه لقضايا الأنثروبولوجيا وعلم النفس والاجتماع بهدف صياغة بنائه النظرى عن الفعل الاجتماعى . واذا كانت العمليات الأساسية لبناء النظرية العلمية تتمثل فى عمليتى التأسيس الافتراضى – اذا كان الاتجاه من أسفل الى أعلى – ، أى من التعميمات الامبيريقية الى صياغة التوجيهات النظرية العامة . ثم التنظيم والأشتقاق – اذا كنا نتجه من أعلى الى أسفل – فاننا نلاحظ ان تالكوت بارسونز استند كثيرا الى العملية الأولى دون الثانية متخذا من قضايا النظريات الخاصة للعلوم الثلاثة معطيات تركيبية لتأسيس نظريته الشاملة(*) .

(*) ليست البارسونزية هى النظرية الشاملة فقط فى علم الاجتماع ، وانما تعتبر الماركسية فى بنائها المنهجى من هذا الطراز أيضا ، ذلك لأنها تبدأ من التوجيهات النظرية العامة فيما يتعلق بطبيعة تشكل الحقيقة =

ثالثا : استراتيجية بناء النظرية المتوسطة المدى

إذا كان تالكوت بارسونز قد أكد على ضرورة تأسيس النظرية الشاملة التى تتضمن عددا من النظريات الخاصة التى تشتق منها والتى تتناول نطاقات جانبية من خلال اتصالها بعمليات البحث الامبيريقى ، فاننا نجد ان روبرت ميرتون يرى ضرورة تأسيس النظريات الخاصة أولا انطلاقا الى النظرية العامة للعلم . ومن هنا فالمعتقد انه ليس هناك خلاف بينهما حول أهمية النظرية العامة الشاملة أو النظرية الخاصة والمتوسطة المدى بالنسبة للعلم . وانما يتركز الخلاف أساسا حول أى منهما التى ينبغى ان تشكل نقطة البدء الأساسية . ولعل الخلاف بين هاتين الاستراتيجيتين يرجع الى خلاف فى المنطلقات الأساسية لكل منهما ، فبينما كان الأول نتاجا للتنظير الأوربى الشامل ، فان الثانى كان تحديا للفكر الأمريكى فى علم الاجتماع الذى استغرق فى ممارسات امبيريقية فجه لم تستطع ان توفر قضايا نظرية ذات قيمة ، وان طورت أدوات منهجية غاية فى الدقة . ومن ثم فاذا كانت حاجة الأول هى اختبار الفرضيات النظرية التى قد يؤسسها فى ضوء معطيات الواقع ، فان الثانى ركز أساسا على صياغة مجموعة من التعميمات الامبيريقية المتوافرة التى قد تيسر ذلك . أما السبب الثانى لاختلافهما الاستراتيجى فيرجع الى طبيعة الالتزام النظرى لكل منهما تجاه النسق الواقعى . فبينما نجد ان بارسونز لديه التزام كامل بكلية النسق ، أعنى ضرورة افتراض ان كلية النسق تشكل تكوينا تصوريا قبل اجراء أى بحث أو تحليل للأنماط المحددة (٨٦) ، فاننا نجد ان ميرتون التزم بجزئية النسق كمدخل لتحليله ، وليست كليته ، وان تباين الالتزام بين الكل والجزء أدى الى تباين الالتزام بمستوى النظرية ومنطق بنائها ، اذ يتقابل تأكيد بارسونز على النظرية الشاملة مع تأكيد ميرتون على النظرية المتوسطة المدى ، ومن ثم نجده يتبنى مدخلا أكثر امبيريقية الى حد كبير (٨٧) .

وتبدأ استراتيجية ميرتون بنقده للنظريات الشاملة بتأكيده اننا نلاحظ فى الآونة الأخيرة ميلا نحو تأسيس النظرية الشاملة التى يجد فيها الباحث كل شئ معدا . مثل هذا الاتجاه الى

= الواقعية والقرائن التى تعمل وفقا لها . ثم تتدرج من ذلك الى تأسيس بعض النظريات الخاصة التى تحتوى على بعض القضايا الامبيريقية المشتقة اصلا من هذا الاطار النظرى العام للنظرية الماركسية ، مثل نظرية الطبقة والصراع والتغير الاجتماعى ، وطبيعة ترتيب العناصر البنائية وتفاعلها بعضها مع البعض ، ومن ثم فما يصدق على البارسونزية من حيث كونها نظرية شاملة فى شكلها المنهجى واستراتيجية بنائها يصدق على الماركسية أيضا . وعلى نظريات كل من دوركيم وماكس فيبر أيضا .

هذا التأسيس الشامل سوف يواجه نفس التحدى ، ونفس المصير الذى انتهت اليه الأنساق الفلسفية الشاملة لكل شئ ، والتى سقطت الآن فى نوع من الاهمال الذى تستحقه . ان القول بذلك اعتبره غريبا وغير ناضج . فنحن لسنا على استعداد ، فالعمل الممهد لذلك لم ينجز بعد (٨٨) . ثم يذهب الى ان ثمة عوامل أربعة دفعت الى هذا الاتجاه الخاطئ .

١ – أدى نجاح العلوم الطبيعية وضخامة الانجازات التى حققتها الى دفع الكثيرين نحو مقارنة علم الاجتماع والعلوم الاجتماعية بالعلوم الطبعية . ومن ثم الوصول الى نتيجة خاطئة ، فى أنه من الضرورى أن تكون انجازاتها مثل انجازات هذه العلوم ، وأيضا أن يكون لعلم الاجتماع نظريته الشاملة مثل ما للعلم الطبيعى . ثم يؤكد ان السبب فى ذلك يرجع الى تجاهل التاريخ الطويل من المعاناة والبحث الذى مرت به العلوم الطبيعية ، وذلك لمجرد ان علماء الاجتماع وجدوا أنفسهم يعيشون ذات اللحظة التاريخية التى تعيشها العلوم الطبيعية (٨٩) .

٢ – انه نظرا لضآلة المعطيات لدى علماء الاجتماع فى مواجهة المطالب الملقاة على عاتقهم من قبل رجال السياسة والمصلحين ورجال الأعمال ، فقد دفع ذلك علماء الاجتماع الى نوع من الاعتقاد والحماسة فى أنهم بطريقة ما ينبغى ان يكونوا قادرين على مواجهة هذه المتطلبات مهما كانت فجة أو غير ناضجة (٩٠) . ومن ثم فقد اعتقدوا أن تأسيس النظرية الشاملة يمكن أن يكون وسيلة جوهرية لتحقيق ذلك .

٣ – اعتقد علماء الاجتماع – خطأ – ان الكفاءة تعنى القدرة على مواجهة كل المطالب ، ذلك أنه يحدث فى المراحل المبكرة للعلم المبتدئ أن يسعى رواده بنفس الأسلوب وراء مطالب فجة ، مثل طلبهم ان تكون لديهم أنساق كلية شاملة من النظرية المناسبة لأى نوع من المشاكل أو القضايا التى تدخل فى نطاق هذا العلم (٩١) .

٤ – ان الأزمة الاقتصادية التى ظهرن فى الولايات المتحدة فى الثلاثينيات أثبتت بما لا يدع مجالا للشك ان الاتجاه الامبيريقى الذى شكل الطبيعة الأساسية لعلم الاجتماع الأمريكى فشل فى مواجهة هذه الأزمة ، ومن ثم يعتبر التنظير والاغراق فى طلب النظريات الشاملة رد فعل حادا لهذه الأزمة ، فهو يمثل بحثا عن اطار نظرى يجنب المجتمع الأمريكى وقوعها ثانية (٩٢) .

وتتحدد استراتيجية ميرتون فى بناء النظريات المتوسطة المدى من خلال تعريفه لمصطلح النظرية الاجتماعية الذى يشير من وجهة نظره الى التصورات المترابطة منطقيا ، تلك التصورات المحدودة والمتواضعة فى نطاقها ، وليست تلك الشاملة والمتضمنة لكل شئ [٩٣] . فهو يؤكد ان هناك معضلة أساسية تواجه علم الاجتماع الآن وينبغى التصدى لها ، وهى الهوة التى تحدث الآن داخل العلم بين النظرية ومعطيات الواقع ، اذ غالبا ماتكون الأفكار أكثر نموا وتطورا فى سرعتها عن قدر البحث الامبيريقى اللازم لاختبار هذه الأفكار أو توضيحها [٩٤] . فالمشكلة عند ميرتون تتمثل اذن فى قيام نظرية لابد ان تكون ذات صلة بالأبحاث الامبيريقية التى تدعمها [٩٥] . ثم يطرح ميرتون صيغة النظرية المتوسطة المدى لكى يعبر بها الفجوة بين التنظير الشامل من ناحية والنزعة الامبيريقية من ناحية أخرى [٩٦] . وهو يؤكد ان الأنساق الشاملة ينبغى ان تخلى الطريق للنظريات المتوسطة المدى ، والأقل مهابة وجلالا ، ولكنها الأكثر ثراء من حيث الأسس والمرتكزات . ثم يذهب الى القول بأننا لانتوقع من أى فرد ان يخلق نسقا أو مخططا لنظرية تقدم حلولا لكافة القضايا الاجتماعية والسوسيولوجية ، فالعلم ، والعلم السوسيولوجى ليس بهذه البساطة [٩٧] . ثم يؤكد انه قد يبدو معقولا ان نفترض ان علم الاجتماع سوف يتقدم الى الدرجة التى سوف ينصب اهتمامه الرئيسى على تطوير نظريات ذات نطاق متوسط ، وانه سوف يحبط اذا ركز انتباهه على النظرية من النوع الشامل [٩٨] .

لكن ما هى طبيعة النظرية المتوسطة المدى ؟ يقدم ميرتون الاجابة على ذلك بقوله ان وظيفتنا الرئيسية اليوم هى تطوير نظريات خاصة ملائمة لنطاقات محدودة من المعطيات ، على سبيل المثال نظريات عن ديناميات الطبقة ، عن ضغوط الجماعات المتصارعة ، عن القوة وممارسة التأثير ، بدلا من البحث منذ البداية عن بناء تصورى (متكامل) ملائم لاشتقاق كل هذه وغيرها من النظريات[٩٩] . ويعنى ذلك تأكيد ميرتون على ضرورة الاقتصار فى هذه المرحلة على بناء النظريات التى تغطى جوانب من البناء الاجتماعى أو تتناول بعض متغيراته ، غير ان ذلك لايعنى اغفاله للنظرية العامة وعدم الاهتمام بها . وانما مايراه هو أن تكون الأولى طريقا لتأسيس الثانية ، اذ يؤكد أنه من خلال تأسيس النظريات الخاصة الملائمة لنطاقات محدودة من المعطيات الاجتماعية ، يمكن تطوير اطار تصورى أكثر عمومية وقدرة على ضم هذه المجموعة من النظريات الخاصة فى اطار نظرى شامل . واذا كانت عملية التأسيس الافتراضى والتنظيم قد أدت دورا محوريا فى بناء النظرية عند بارسونز . فان ميرتون يستند فى بنائه النظرى على عمليتى التأسيس والاشتقاق ، حيث تتأسس القضايا عن علاقات الواقع ومعطياته . ثم يعاد

توجيهها نحو قيادة البحث الامبيريقى فى نطاق مجالات خاصة بالنظر الى كونها فروضا اشتقت من قضايا جردت عن ذات الواقع أو واقع مماثل .

وجهة نظرنا فى هذا الصدد تتمثل فى أنه وان كنا نوافق ميرتون على أن الاتجاه الى بناء النظريات الشاملة فيه تهديد الاستغراق فى ممارسات تأملية بعيدا عن معطيات الواقع المتفاعلة . بيد اننا نختلف معه فى ضرورة ان نعمل على تأسيس التصورات الشاملة من خلال الالتزام بكلية النسق وان كنا نفرض استناد هذه الكلية الى التوازن البارسونزى . وفيما يتعلق بموقف ميرتون فقد نتفق معه على ضرورة ان تكون القضية الامبيريقية هى التعميم الرئيسى لصياغة البناء النظرى ، بيد اننا نختلف معه فى ان الاستغراق فى تطوير قضايا امبيريقية يتعلق بنطاقات خاصة من الواقع الاجتماعى فيه تهديد ان نفقد البعد النسقى الشامل ، وهو بعد أساسى فى تحليل أية واقعة جزئية بدونه يفتقد علم الاجتماع القدرة على تقديم فهم مجتمعى للعمليات الأساسية ومثالياتها الجزئية ، والوقوف عند مستوى الفهم الاجتماعى القاصر على رؤية الواقعة من داخلها . دونما قدرة على رؤية أبعادها الخارجية ذات التأثير الأكبر ونوجز ذلك فى ثلاثة اعتبارات أساسية .

١ – الحاجة الى نظرية شاملة تتبنى رؤية شاملة ونسقية للواقع مع الأخذ فى الاعتبار عدم استناد هذه النسقية لأى من العمليات الأساسية بشكل مطلق .

٢ – ان يستند بناء هذه النظرية الشاملة من خلال ماوفرته النظريات العامة فى علم الاجتماع من تصورات شاملة ، ومن قضايا امبيريقية تصلح – عند اعادة تحليلها – أساسا لاختبار فاعلية التعميمات النظرية العامة لهذه التصورات الشاملة .

٣ – اننا فى حاجة الآن الى صياغة النظرية فى علم الاجتماع بمعنى Formalization ذلك انه قد أنفق جهد كبير فى عملية تأسيس النظرية ، سواء على المستوى المتوسط المدى أو الشامل . ما نحتاجه الآن هو اعادة صياغة النظريات القائمة لتحديد القضايا المتماثلة – التى تتعلق بموضوع محدد – فى مختلف النظريات القائمة تلك التى ثبت صدقها عند تعريضها للفحص والاختبار الامبيريقى . كصياغة نظريات عن الفعل الاجتماعى ، عن النظام الاجتماعى ، عن التغير الاجتماعى ، عن النسق ومكوناته الأساسية أو عن تفاعلاته الدينامية ، وذلك من خلال الفحص المنطقى والامبيريقى للتعميمات القائمة الآن فى علم الاجتماع . بهدف تأسيس نظرية شاملة ، تمتلك الرؤية الشاملة دون الاستغراق

التفصيلى ، وتمتلك الصدق الامبيريقى والاتصال بالواقع ، وهى خاصية لم تتوافر للأنساق الفلسفية الشاملة .

رابعا : نظريات المرحلة الكلاسيكية ، الاطار التحليلى

تدخل دراسة النظرية الاجتماعية فى أطار ادبيات علم اجتماع المعرفة ، وفى بعض جوانبها داخل نطاق فلسفة المعرفة . ويختلف تناول النظرية الاجتماعية بالتحليل والبحث والدراسة عن تناول أى موضوع آخر ، لأنه تحليل ودراسة للأفكار ذاتها ، بل وأكثر نماذج الأفكار تجريداً . وقد بذلت محاولات كثيرة فى هذا الصدد ، غير أن الكثير منها صدر عن غير المتخصصين ، الأمر الذى أسهم فى النهاية فى تعقيد الأمور . أحيانا كان العرض بسيطا ومبسطا حتى أصبح مخلاً ، وأحيانا أخرى كان أكثر تعقيداً حتى أصبح دلالة على عدم الفهم . الأمر الذى أصبح من الضرورى معه مواجهة هذه الظاهرة ، خوفاً من تشويه تصور العقل العربى لمعنى النظرية ، ونطاق العمل فيها ، وآفاق الأسهام المحتملة . من هنا فقد أصبح من المفيد ان نعرض لاطارنا المقترح لتحليل النظرية الاجتماعية ، غير اننا قبل أن نعرض لذلك نرى ضرورة طرح عدد من الاطر التحليلية التى تبناها بعض المشتغلون بالنظرية الاجتماعية .

ويعتبر تحليل النظرية بالنظر الى السياق الاجتماعى لمحاولة فهم قضاياها من المحاولات الأولى لفهم النظرية الاجتماعية ، ويعتبر هارى الد بيرنز Barnes فى مؤلفه « الفكر الاجتماعى من البدعة الى العلم » Social Thought From Love to Science من المحاولة الأولى فى هذا الصدد ، يضاف اليها محاولة هانز موس Hans Mauss فى مؤلفه « تاريخ الفكر الاجتماعى » History of Social Thought. ويحاول هذا الأسلوب فى التحليل تحليل النظريات الاجتماعية بالنظر الى السياقات الاجتماعية التى ظهرت فيها ، كدراسة النظريات التى ظهرت فى المجتمع اليونانى أو المجتمع الايطالى ، أو الفرنسى ، أو الانجليزى ، أو الامريكى أحيانا يجتهد هذا الأسلوب فيربط بعض قضايا النظرية ببعض أحداث السياق الاجتماعى ، وأحيانا أخرى يعالج النظرية بتحليل مفاهيمها وقضاياها الأساسية دون ربطها بأحداث معينة فى السياق اللهم سوى انتمائها لهذا المجتمع أو ذاك .

ويؤخذ على هذا الأسلوب فى دراسة وتحليل النظرية الاجتماعية إغفال فاعلية السياق الاجتماعى ، سواء المحلى أو الاشمل ، حيث نجد أن قضايا كثير من النظريات ليست سوى تجريد لبعض التفاعلات الواقعية . من ناحية ثانية يتجاهل هذا الأسلوب فى غالب الأحيان وضع النظرية الاجتماعية فى سياقها الفكرى ، فالنظرية الاجتماعية ، هى حلقة فى تطور ،

نسق التفكير العلمى، حيث نجد أن كثيراً من مفاهيم هذا النسق وقضاياه قائمة فى بناء النظرية موضع الدراسة ولو فى اطار نسقى جديد ، اضافة الى ان هذا الأسلوب فى التحليل يتجاهل الوظيفة الأيديولوجية للنظرية الاجتماعية ، وهى الوظيفة التى برزت بوضوح فى فترة الحرب الباردة .

ويتمثل الأسلوب الثانى فى أسلوب التحليل العلمى ، وهو الأسلوب الذى يرى فى النظرية مجرد حلقة فى تطور أو نمو التفكير العلمى ، ونعتبر مؤلف دون مارتندال « طبيعة ونماذج النظرية الاجتماعية » The Nature and Types of Social theory أفضل ممثل لهذا الإتجاه، حيث يرى فى النظرية لحدى وحدات نسق التفكير العلمى ، يشكل ماسبقه مقدمات لها ، وهى تشكل بدورها مقدمات لما سوف يأتى بعدها . ويدخل فى نطاق هذا الأسلوب أيضا التحليل الذى قدمه كل من بيرسى كوهن Percy Cohen فى مؤلفه « النظرية الاجتماعية الحديثة » Modern Social theory وجون ركس John Rex « قضايا أساسية فى النظرية الاجتماعية » . وغير ذلك من التحليلات العديدة التى تبنت هذا الأسلوب .

ومما يؤخذ على هذا الأسلوب أنه لايهتم كثيراً بالنظر الى النظرية باعتبارها ، فى بعض قضاياها ، تعتبر انعكاساً للتفاعل الاجتماعى القائم ، فهو لايحاول ربط أى من المقولات النظرية بتفاعلات السياق الاجتماعى . كذلك يؤخذ على هذا النمط من التسجيل أنه يغفل تماما الوظيفة الأيديولوجية للنظرية ، مقتصرا على المستوى الابستيمولوجى فى معالجته للنظرية الاجتماعية .

ويمكن أن نسمى الأسلوب الثالث لتحليل ودراسة النظرية الإجتماعية بأسلوب التحليل التاريخى ، وهو الأسلوب الذى يحاول أن يؤصل للبداية التاريخية لظهور مفاهيم النظرية وقضاياها الرئيسية ، محاولا لن يبحث عن هذه الأصول أما فى المجتمع اليونانى القديم ، أو المجتمعات الشرقية (الصين ، الهند ، مصر) وحتى أوربا القرون الوسطى ثم يحول بعد ذلك تتبع الانتقال والتحول والتطور التاريخى للمفهوم حتى بلغ تحديده الحالى . اذ يرى هذا الأسلوب فى النظرية نتاج لتراكم تاريخى عبر قرون عديدة من الزمن ، حيث يميل دائماً المنظر فى هذا الأسلوب إلى البحث عن الجذور . اضافة الى تحديد القضايا النظرية العلمية التى تشكل بناء النظرية حاليا ، كما يفعل الباحثون الذين يميلون الى تسجيل النظرية وبقا للأسلوب الثانى .

وان وفر هذا الأسلوب قدرا هائلاً من المعلومات التفصيلية المتصلة ببناء النظرية ، وهو الجهد الذى يفيد فى الأغراض التعليمية الا أنه لم يذكر شيئا عن العلاقة بين قضايا النظرية من ناحية واحداث السياق الاجتماعى من ناحية أخرى ، اضافة الى أنه لايذكر شيئا عن المتضمنات الايديولوجية لأى نظرية من النظريات ، باعتبار ان اصحاب هذا الاتجاه ينفقون كل جهدهم فى معالجة الجوانب المعرفية للنظرية ، فى مقابل تجاهل الوظائف الأيديولوجية لأى نظرية من النظريات . ويعتبر مؤلف بيترم سروكن ، P.Sorokin النظريات الاجتماعية المعاصرة Contemporary Sociological Tneories .

ويعتبر تحليل النظرية ودراستها بالنظر الى السياق الاجتماعى هو الأسلوب الرابع الذى يتبعه عدد من الباحثين . ويعتبر مؤلف ألفن جولدنر Alvin Gouldner الأزمة القادمة لعلم الاجتماع الغربى The coming Crisis of western Sociology من أهم المؤلفات التى تجسد هذا الاتجاه فى دراسة النظرية الاجتماعية وتحليلها .

ويميل هذا الاتجاه الى التركيز على بعدين رئيسيين الأول ان النظرية الاجتماعية هى انعكاس لأحداث السياق الاجتماعى على الصعيد المحلى الذى تتصاعد دوائره فى الاتساع حتى السياق العالمى . فقضايا النظرية تعكس أحداث الواقع ومايحدث فيه من تفاعل ، اضافة الى علاقة السياق المحلى بالسياقات المحلية الأخرى فى اطار النظام العالمى ، ومايقع فى الأخير من أحداث وتفاعلات . فالنظريات الاجتماعية الشاملة أو ذات الرؤية الكلية اتجهت الى رفض بعضها البعض فى فترة الحرب الباردة ، لكنها بدأت تنجذب الى بعضها البعض فى فترة الوفاق الدولى ، ذلك ينطبق بالتحديد على العلاقة بين الماركسية والبنائية الوظيفية فى علم الاجتماع .

ويتمثل البعد الثانى فى تأكيد هذا الاتجاه بصورة محدودة على البعد الأيديولوجى للنظرية الاجتماعية و ان أكد هذا الاتجاه على محورية البعد الابسيتمولوجى للنظرية فانه يميل فى كثير من الأحيان الى التذكير ببعض الوظائف الايديولوجية للنظرية وان احتلت مكانة ثانوية فى هذا التحليل . اضافة الى ذلك يغفل هذا الأسلوب نسبيا الحديث عن الأصول المعرفية للنظرية ، أو النظر الى النظرية باعتبارها وحدة فى نسق التفكير العلمى .

ويمثل اسلوب التحليل الايديولوجى أسلوب التحليل الخامس فى هذا الصدد . ويعتبر مؤلف ارفنج زايتلن Irving Zeitiln « الايديولوجيا وتطور النظرية الاجتماعية Ideology and the development of sociological theory" من أفضل المؤلفات فى هذا الصدد .

حيث يتصور هذا الأسلوب نشأة النظريات وظهورها استجابة لبعضها البعض . بمعنى انه اذا كانت النظرية الماركسية تقوم بتحليل النظام الرأسمالى ونقده ، لتحديد القوانين التى تحكم التحرك نحو المجتمع الشيوعى التى ترى فيه النظرية المجتمع الأكثر اكتمالا والذى يتخلص من الاغترابات ، فاننا نجد عدد من النظريات الأخرى تظهر – حسبما يذهب هذا الأسلوب – لتفنيد النظرية الماركسية ، والدفاع عن المجتمع الرأسمالى . فالنظرية من خلال هذا الأسلوب تدافع عن واقع معين ، أو تدين آخر . وتبرز الوظيفة الأيديولوجية باعتبارها اكثر الوظائف أهمية ووضوحاً .

وقد يهتم هذا الاسلوب نسبيا بالنظر الى النظرية كوحدة فى تطور نسق التفكير العلمى ، وقد يسقط تأثير احداث السياق الاجتماعى على مقولات النظرية الاجتماعية ، غير ان التأثير الواضح يظل منسوبا للمتغير الايديولوجى بالأساس .

وفى محاولتنا لتحليل النظرية الاجتماعية رأينا ان يتم ذلك بالنظر الى اطار تحليلى نحاول قدر الامكان ان يكون أكثر كفاءة وفعالية ، وهو اطار وان كان لايلتزم حرفيا بأى من الأطر السابقة إلا أنه استعان ببعض متغيراتها الأساسية . وتتشكل متغيرات هذا الاطار بالنظر الى مجموعة المتغيرات التى نعتقد فى اتصالها العضوى ببناء النظرية الاجتماعية .

واذا كنا نعتقد ان المتغيرات ذات التأثير فى بناء النظرية الاجتماعية هى مكانة النظرية فى بناء نسق التفكير العلمى ، وأيضا الحياة الشخصية للمنظر ، وطبيعة احداث السياق الاجتماعى الذى تعتبر النظرية فى بعض مقولاتها انعكاساً لتفاعلاته ، فاننا اسسنا الاطار التحليلى الذى يضم العناصر التالية :

١ – الحياة الشخصية للمنظر الذى لعب دوراً اساسيا فى بناء النظرية ، فقما لاشك فيه ان للحياة الشخصية للمنظر تأثيرها على بناء نظريته ، حيث نجد أن للأحداث الشخصية تأثير نسبى على طبيعة الظواهر التى تصدى لها المنظر بالتحليل والبحث ، ومن ثم التعميمات والقضايا التى وصل اليها من خلال دراسته لهذه الظواهر والأحداث فمثلا من المسلم به ان هنا تأثير ليهودية ماركس على موقفه من الدين ، وهناك تأثير لانتماء دوركيم لمقاطعة الالزاس – موضع التنازع حينئذ بين ألمانيا وفرنسا – على افكاره فيما يتعلق بروح الأمة وعقلها الجمعى . كذلك هناك تأثير للبعد اليهودى لمنظرى المدرسة النقدية فى علم الاجتماع على كثير من افكارهم . وكذلك هناك تأثير للحياة الشخصية لفلفريدو باريتو على كثير من افكاره النظرية كدورة الصفوة أو الموقف من الاشتراكية .

٢ – وتشكل الجذور الفكرية العنصر الثانى فى الاطار التحليلى المقترح ، حيث تشكل الجذور الفكرية جوهر العلاقة بين نسق التفكير العلمى من ناحية ، وبين النظرية موضع التحليل والاهتمام من ناحية أخرى . فى هذا الاطار ، فإننا فى معالجتنا لأى نظرية من النظريات كنا نعمل دائماً على وضعها فى مكانة على خريطة نسق التفكير العلمى ، عن طريق تحديد الصلة التى تربط النظرية بجذورها القائمة فى نسق التفكير العلمى ، لتحديد طبيعة تأثير نسق التفكير العلمى على بعض قضايا النظرية موضع التحليل ، من ذلك مثلاً نسبة الجدل الماركسى الى الجدل الهيجلى ، الذى يرجع بدوره الى الجدل فى نسق الفلسفة اليونانية القديمة عند هيراقليطس . أو إسناد فكرة العقل الجمعى عند إميل دوركيم فى بعض جوانبها الى فكرة الروح العامة أو الفكرة المطلقة عند هيجل ، أو إسناد المنهجية الدوركيمية الى تأكيد أوجست كونت على نموذج العلم الطبيعى .

٣ – ويتشكل العنصر الثالث فى الاطار التحليلى من البناء المنهجى للنظرية موضع التحليل . ذلك اننانقتنع أن أى نظرية من النظريات لها اقتراب منهجى من الواقع محدد وخاص بها . حيث يحتوى هذا العنصر المنهجى فى بناء النظرية على طبيعة تصور النظرية للحقيقة الاجتماعية ، ومنطق تناول الباحث لها بالبحث والدراسة ، وفى بعض الأحيان ماهى أدوات البحث الأكثر ملائمة للنظرية فى تناولها للباحث على سبيل المثال تصور الحقيقة الكلية بين ماركس وأوجست كونت مثلاً يفرض على الأخير ادراكها ادراكا استقرائياً بينما الأول يدركها ادراكا تطوريا وتاريخيا . أو ان تباين منطق ادراك الحقيقة بين ماكس فيبر ودوركيم ، جعل الثانى يؤكد على ضرورة الادراك الموضوعى للظاهرة موضع الاهتمام بينما أوصى الأول بضرورة التفهم والادراك الذاتى للواقعة موضع الدراسة .

٤ – ويشكل التصور الذى تطوره النظرية للواقع الاجتماعى العنصر الرابع فى الاطار التحليلى . وهو العنصر الذى يشكل الجانب الأساسى أو العينى Substantive فى بناء النظرية . ونحن نعتقد انه لاخلاف بين رواد النظرية الاجتماعية فيما يتعلق بالمتغيرات المشكلة للواقع الاجتماعى . ولكن يكمن الخلاف الرئيسى بين النظريات فى طبيعة ترتيب هذه العناصر بالنظر الى بعضها البعض ، وأيضاً فى طبيعة العلاقات القائمة بينها . إذ تدرك غالبية النظريات الواقع بإعتباره يتكون من المتغيرات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية أو الدينية ، ولكنها تختلف حول المتغيرات ذات الأولوية ، فبينما تؤكد

الماركسية على المتغيرات الاقتصادية تؤكد نظرية إميل دوركيم على المتغيرات الاجتماعية ، على حين يعطى فيبر متغير الدين والثقافة كمتغير له الأولوية ، بينما يؤكد باريتو على فاعلية دورة الصفوة كمتغير سياسى .

ولأن النظرية الاجتماعية كانت دائماً انعكاساً لازمة أو مشكلة يمر بها النظام الاجتماعى . يحاول المنظر تشخيصها وتحديد طبيعتها وطرح الحلول الملائمة لها . فقد رأينا ان تكون هذه الأبعاد هى ابعاد التصور النظرى الذى بناء عليه يتم تحليل أى نظرية من النظريات . ومن ثم فقد كانت تدور قضايا التصور العينى أو الواقعى للنظرية حول طبيعة مشكلة النظام الاجتماعى كما تشخصها النظرية ثم ماهى عناصر هذه المشكلة أو متغيراتها ، ثم ماهو الحل الذى تطرحه النظرية للخروج من مشكلة النظام الاجتماعى التى تعتبر النظرية انعكاسا لها فى بعض جوانبها .

٥ – يبقى بعد ذلك ان نوضح اننا لم نعطى بعد الايديولوجيا اعتبارا كبيراً فى تحليلنا لمختلف النظريات الاجتماعية ، وذلك لاعتبارين . الأول اننى أرى أننا كباحثين فى علم الاجتماع ينبغى أن نهتم بالجوانب الايستيمولوجية لأى نظرية من النظريات لأنها تشكل الأساس الجوهرى لبناء النظرية . باعتبار أننا ندرك النظرية باعتبارها اطاراً فكرياً أو منهجاً لوصف تفاعلات الواقع وتحليلها وتفسيرها للوصول الى بعض التعميمات التى تيسر ضبط التفاعل الواقعى والسيطرة عليه ، وتوجيهه الى أوضاع فى المستقبل نتنبأ بها ، ونوجه هذا التفاعل نحوها ، وتلك هى الوظيفة الأساسية للنظرية العلمية .

ويتمثل الاعتبار الثانى فى انتهاء عصر الايديولوجيا وهو العصر الذى ازدهر فترة العصر الباردة ، واصبح خافتا للغاية فى فترة الوفاق أو التجانس التى يتجه اليها النظام الدولى . ولأننا نعتقد ايضا ان التبرير الايديولوجى قد يكون احد وظائف النظرية الاجتماعية لكنه لاينبغى ان يكون مكونا محوريا فى بناء النظرية الاجتماعية .

مراجع الباب الأول

(١) سمير نعيم : النظرية فى علم الاجتماع ، دراسة نقدية . مكتبة سعيد رأفت . الطبعة الأولى . القاهرة ، ١٩٧٧ ، ص ٢٤ .

(2) Skidmore,Willam:Theoretical Thinking in Sociology.Cambridege University Press.Loondon.1975 P. 249.

(٣) سمير نعيم : مرجع سابق ، ص ٢٠ .

(4) Merton,Robert.K : Social Theory and Social Structure. the free Press. G conce. 1962. P. 3 .

(٥) زكريا ابراهيم : مشكلة الفلسفة . مكتبة مصر . الطبعة الثالثة . ١٩٧٠ ، ص ١١٢ .

(٦) سمير نعيم : مرجع سابق ، ص ٢٢ – ٢٣ .

(7) Sorokin, Pitrim : Contemporary Social Theories. New York . Harper. 1928 .

حيث يعرض الكتاب بكامله لكافة النظريات العاملية التى ترى أن عاملا أساسيا من وجهة نظر المدرسة هو الذى يلعب دور المتغير المستقل . ويحتم سير التفاعل والعلاقات الاجتماعية من وجهة معينة .

(8) K.R.Merton : Op. Cit. p. 87 .

(٩) علياء شكرى ، محمد على محمد : قراءات معاصرة فى علم الاجتماع : النظرية والمنهج . سلسلة علم الاجتماع المعاصر . الكتاب التاسع . شركة دار النشر المتحدة . القاهرة . الطبعة الأولى . ١٩٧٢ . ص ١٥٢ .

(١٠) محمد الجوهرى وآخرون : ميادين علم الاجتماع (ترجمة وتحرير) . دار المعارف بمصر ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٠ ، ص ٦٨ .

(١١) عبد الباسط حسن : أصول البحث الاجتماعى . مكتبة وهبه . الطبعة الخامسة ، ١٩٧٦ ، ص ٢٢٢ – ٢٣٢ . وبخاصة ٢٣١ .

(١٢) علياء شكرى ، محمد على : مرجع سابق ، ص ١٦٥ – ١٧٦ .

(13) Kaufmans, Felix : Methodology of the Social Sciences. New York . Oxford University Press . 1944 . p . 97 .

(14) Parsons, T : the Structure of Social Action. New York Mac-Graw-Hill . 1037. p. 432 .

(15) Cohen, Percy. S : Modern Social Theory. Heinemann. London. 1968. P. 11 .

(16) Ibid. p. 12 .

(17) Ibid. pp. 12-13 .

(١٨) سمير نعيم : مرجع سابق ، ص ٢٤ .

(19) Dahrendorf, Ralf : Class and Conflict in Industrial Society . Stanford University Press. Stanford. 1959. p. 129 .

(٢٠) على ليلة : البنائية الوظيفية فى علم الإجتماع والأنثروبولوجيا (المفاهيم والقضايا ، دار المعارف ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٢ ، ص ٤٩ .

(٢١) نفس المرجع ، ص ٤٩ .

(22) Parson, Talcott : The Social System, The Free Press, Glencoe, Tllinois, 1952, P.349

(23) Johnson, Harry. M : Sociology, A systematic Introduction, Routleclye & kegan Paul, LTD, London, 1961, Pp. 581 - 588 .

(24) Bred emier, H.C & Stephenson : The analysis of Systems, Halt Rimehart, London , 1970, P. 310

(25) Harry Johnson : Op, eit, P. 606

(26) Ibid. P. 389

(27) Zeitlin, Irving, Ideology and The Development of Sociological theory, N.J. : Prentice - Hall, 1968, P.82 .

(28) Gouldner, Alvin : The Coming Crisis of western Sociology, Heinman , London, 1971, P. 9

(29) Aron, Raymond : Main Currents in Sociological thought., Vol I, London, 1967 , P. 175 .

(30) Harry M. Johnson : Op, cit, P. 607

(31) Barber, Bernard : Structural - Functional analysis, Some Problems and Misunder-Standing . Ame, Soc, Vol. 21, No.2, 1956 P. 135

(32) R.K.Merton : Op, cit, P.42

(33) Ibid, . p. 5 .

(34) Ibid. p. 98 .

(35) T. Parsons : Op. cit. p . 28 .

(36) Soltiz, C. Jahoda & Others : Research Methods in Social Relations. New York. 1963. p. 480 .

(37) Ibid . p. 41 .

(38) Fairchild. H. P : Dictionary of Sociology. Totowa. 1967. p. 54.

(39) Rilcy. M. w : Sociological Research. A Case of opproach. New york. 1963. p. 5 .

(40) R. Merton : Op. cit.p. 90 .

(41) Ibid . p. 90 .

(42) Ibid. p. 93 .

(43) Galtung. Johan : Theory and Methods of Social research. London. 1967. p. 451 .

(44) Homans. G. C : Contemporary theory in Sociology in Handbook of Modern Sociololgy. (ed) By. R. Faris Chicago. p. 951 .

(45) Nagel. Ernest : The Structure of Science : Problems in logis of Scientific explanation. Harcourt Brace & Word. Inc. New York. 1961. p. 91 .

(46) R. Merton : Op. Cit. p. 99 .

(47) P. Cohen : Op. Cit. pp. 2-3 .

(48) R. Merton : Op. Cit. pp. 87-89 .

(49) Dewey. John : The Theory of Inquiry, New York. Henry Hok and Co. 1938. p. 305 .

(50) Ibid. p. 85 .

(51) Haye. Jerald : Thechniques and Problems of Theory Construction in Sociology . New York. Willey. 1972. p. 72 .

(52) Stinchcombe, Arther. L : Constructing Social Theories. New York. Harcourt. 1968. p. 123 .

(53) Mullins. Nicholas. C : The art of Theory Construction and use. New York. Harper & Rew. 1971. p. 83.

(54) A. L. Stinch Combe : Op. Cit. p. 127 .

(55) Ibid. p. 132 .

(56) W.Skiedmore : Op. Cit. p. 249 .

(57) A. L. Syinchcombe : Op. Cit. p. 127 .

(58) R. Merton : Op. Cit. p. 13 .

(59) A. L. Stinchcombe : Op. Cit. p. 247 .

(60) Pareons. T : Some Considerations on the Theory of Social Change Rural Sociology. No. 4. 1961. p. 219.

(61) R. Merton : Op. Cit. p. 100 .

(62) E. Nagel : Op. Cit. p. 86.

(63) J. Galtung : Op. Cit. p. 451 .

(64) E. Nagel : Op. cit. p. 8.

(65) J. Galtung : Op. Cit. p. 42.

(66) Campell. Norman. R : The Structure of Theories. pp. 288-308. esp. p. 303. in Herbert fiegl & May Brodbeck (eds) New York. 1923.

(67) Parsons, T : The prospects of sociological theory. p. 323. in T. Parsons : Essays in Sociological Theory (ed). The Free Pree. New York. London. 1966.

(68) Ibid. p. 215 .

(69) Ibid. p. 216.

(70) E. Nagel : Op. Cit. p. 95.

(71) N. R Compell : Op. Cit. p. 289.

(72) W. Seidmore : Op. Cit. pp. 15-16.

(73) Parsons, T : The Present Position and Prospects of systematic theory in sociology. in T. Parsons : Essays in sociological theory. pp. 220-221.

(74) P. Sorokin : Op. Cit. : حيث ورد شرح مفصل لهذه النظريات

(75) R. Merton : Op. Cit. p. 5.

(76) T. Parsons : The Present position and prospects of systematic theory in sociology. p. 221.

(77) Ibid. pp. 223-224.

(78) Ibid. p. 224.

(79) R. Merton : Op. Cit. p. 10.

(٦٧) محمد عارف عثمان : المنهج الكيفى والمنهج الكمى فى علم الاجتماع فى ضوء نظرية التكامل المنهجى لدراسة الظواهر الاجتماعية . رسالة دكتوراه . كلية الآداب – جامعة القاهرة ، ١٩٧١ ، ص ٢٣١ .

(81) T. Parsons : The Present Position and Prospects of Systematic Theory in Sociology. pp. 224-227.

(82) Whitaker. Jan : The Nature and Value of Functionalism in Sociology in D. Martindale (ed) Functionalism in the Social Sciences. Philadelphia. Feb. 1965. p. 69.

(83) Sorokin, P : Social Theory Today. London 1961. p. 404.

(84) T. Parsons : The prospects of sociological theory. p. 354.

(85) Ibid. p. 365.

(86) Gouldner. A. W : Reciprocity and autonomy in Functional theory in N. J. Demerath & Richard Peterson. the free Press. New York. London. 1968. p. 145.

(87) Ibid. p. 164.

(88) R. Merton : Op. Cit. p. 6.

(89) Ibid. p. 6.

(90) Ibid. pp. 6-7.

(91) Ibid. p. 7.

(92) Gouldner. A : The Coming Crisis of Western Sociology. Heinmann. London. 1971. p. 153.

(93) R. Merton : Op. Cit. p. 5.

(94) Merton. R. K : Anomie. Anomia and Social Interaction, Contents of deviant behavior in Marshal B. Clinard (ed). Anomie and deviant behavior. a discussion and Critique, the free press. New York. 1969. p. 113.

(95) R. Merton : Social Theory and Social Structure. p. 9.

(96) D. Martindale : Limits and Alternatives of Functionalism in Sociology. p. 158.

(97) R. Merton : Social Theory and Structure. p. 7.

(98) Ibid. p. 9.

(99) Ibid. p. 9.